

تغريدة ترامب حول إدلب.. والهُشودات البحريّة الأمريكية والروسيّة غَير المَسِبُوقة تُرجِّح احتمالات الحرب..

وهَل تَقْفِي إسرائيل والسعوديّة خلف هذا التَّصعيد الأمريكي "المُفاجئ لِمَنْعِي أيٍّ" انتصارٍ سوريٍّ؟ إيرانيٍّ؟ ولماذا نَعْتَقِد أنَّ الأَيَّام الْأَرْبَعَة الْمُقْبَلَة سَتَكُون حاسِمةً سَلِمًا أو حَربًا؟

عبد الباري عطوان

الوضع التراجيديّ السوري يَقترب من مَحْطَّته النهايّة في إدلب، سَلِمًا أو حَربًا، حيثُ تَسْتَعِد قُوّاتُ الجيش العربيّ السوري، مَدعومةً على الأرض بقوّاتِ إيرانية وأُخرى تابعة لـ"حزب الله"، وفي الجو بطائراتِ روسيّة، وأكثَرُ من 25 سفينة حربيّة روسية إلى جانب غواصتين في البحر المتوسط، تَحْسُبَا لأيٍّ تَدْخُلٌ أمريكيٌ عسكريٌّ لمَنْعِي استعادة المدينة التي تُعتبر آخر معاقل "هيئة تحرير الشام" (النصرة) والجماعات السلفيّة الأخرى، إلى سيادة الدولة السوريّة مُجدًا بعد غِياب دام أكثر من سَبع سنوات.

الهُشودات البحريّة الأمريكية والروسيّة، سَواء قُبَالَة السواحل السوريّة شَرق المُتوسِط، أو في مياه الخليج العربيّ (حيثُ حلفاء أمريكا) تُوحِي بأنَّ الفُوقَتين العُظميَّتين تستعدان لمُواجهة عسكريّةٍ إقليميّةٍ أو عالميّة، إذا لم يتم التَّوصل إلى تسوية، أو حاوَلت إدارة ترامب الوقوف في طريق "تحرير" المدينة (إدلب).

المناورات البحريّة العسكريّة التي أجرَتها القيادة الروسيّة شَرق المُتوسِط، وبمشاركةٍ صينيّة هي الأضخم من نوعها منذ 40 عامًا، مما يعني أنَّ احتمالات الصدام مع الولايات المتحدة واردة، وأنَّ القيادة الروسيّة أجرَت حساباتها جيدًا، ولن تُضحي بإنجازها الأكبر في سوريا.

\*\*\*

تغريدة الرئيس دونالد ترامب التي نَشرَها على حسابِه على "التويتر" وقال فيها "على الرئيس الأسد أن لا يُهاجم إدلب، وسيرتكب الرّوس والإيرانيون خطأً إنسانيًّا جسيمًا إذا ما شاركوا في هذه المأساة الإنسانية التي يمكن أن تُؤدي إلى مقتل مئات الألوف"، هذه التغريدة

إِسْرَائِيلْ فَوَّشَلَتْ فِي إِنْهَاءِ الْوُجُودِ الإِيرَانِيِّ فِي سُورِيَةِ مِنْ خَلَالِ الصُّغُوطِ عَلَى مُوسَكُو لِلْقَيْمَ بِهَا الدَّوْرِ، أَوْ مِنْ خَلَالِ غَارَاتِهَا الجَوِيَّةِ وَالصَّارُوخِيَّةِ عَلَى أَهْدَافِ عَسْكَرِيَّةِ إِيرَانِيَّةِ دَخْلَهَا، وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الْهُجُومَ الْأَمْرِيكِيَّ عَلَى أَرْضِيَّةِ الْأَزْمَةِ فِي إِدْلِبِ هُوَ الْفُرْصَةُ الْأُخِيرَةُ، وَلَا نَسْتَبِعُ دُونَهُ أَنْ يَكُونَ اتِّفَاقًا جَرِيَ التَّوْصِيلُ إِلَيْهِ بِهَا الْخُصُوصُ، أَثْنَاءَ زِيَارَةِ جُونِ بُولْتُونَ، مُسْتَشَارِ الْأَمْنِ الْقَوْمِيِّ الْأَمْرِيكِيِّ، وَأَشْرَسْ حُلْفَاءِ إِسْرَائِيلْ لِلْقَدْسِ الْمُحْتَلَةِ وَلِقَائِهِ مَعَ نَظِيرِهِ الإِسْرَائِيليِّ إِلَى جَانِبِ زِينَتْبَرْيَا هُوَ وَجْهَوْعَةُ مِنَ الْجِنَرَالَاتِ فِي الْأَسْبُوعِ الْمَاضِيِّ.

ما يُعَزِّز هَذِهِ الفرضيَّة، تهديدات إفيغدور ليبرمان، وزير الحرب الإسرائيلي، الذي أطلقها أمس، بعد تَسْرُّب أنباء زيارة أمير حاتمي، وزير الدفاع الإيراني، إلى دمشق قبل بضعة أيام، ولقاءه مع الرئيس بشار الأسد، وقيامه بجولة استعراضيَّة في حلب، وتوقيعه اتفاق مع الحكومة السوريَّة يُشرعُ الوجود العسكري الإيراني، فقد استشاط ليبرمان غَمَبًا، وأكَّدَ أنَّ غاراته على أهدافٍ إيرانيَّة لن تَقتصر على سوريا، وإنَّما قد تمتد إلى مناطقٍ أُخْرى مثل العراق، ولعلَّ الغارات الصاروخية الإسرائيليَّة التي استهدفت أهدافاً إيرانيَّة في مدينة حماة وطرطوس، وقبلها مطار المزة، أحد مَظاهم هذا القَالق الإسرائيليَّ.

الرئيس ترامب مُطمئنٌ إلى أمرٍ واحدٍ، وهو أنّه في حال نشوب مُواجهةٍ مع روسيا في إدلب فإنَّ المملكة العربية السعودية ودول خليجيةً أخرى من بينها دولة الإمارات، ستتولى تغطية مُعظم

الذَّفَقات، إن لم يَكُن كلها، ولا نَسْتَبِعُ أَن تَتَصَدَّرْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مُبَاحَثَاتُ الشِّيخِ صَبَاحِ الْأَحْمَدِ، أميرِ الْكُوَيْتِ، مَعَ الرَّئِيسِ الْأَمْرِيْكِيِّ أَشْنَاءِ لِقَائِهِمَا فِي الْبَيْتِ الْأَبِيْضِ غَدَّاً الْأَرْبَاعَ إِلَى جَانِبِ الْأَرْمَةِ الْخَلِيجِيَّةِ طَبَعًا.

الْأَيَّامُ الْأَرْبَاعَةُ الْمُقْبِلَةُ قَدْ تَكُونُ هِيَ الْأَخْطَارُ فِي هَذَا الْمَلْفِ، أَيْ إِدْلِبُ وَحَوَالِيهَا، وَإِذَا لَمْ تَنْجُ الْجُهُودُ الْمَحْمُومَةُ الْمَبِذُولَةُ حَالِيَّاً فِي التَّوْمَدِ الْمُصْلَلِ إِلَى حَلِّ سِيَاسِيٍّ مَّاقِبُولٍ مِّنْ جَمِيعِ الْأَطْرَافِ، فَإِنَّ "الْحَلَلَ الْعَسْكَرِيَّ" يُصْدِّجُ حَتْمِيَّاً، وَقَدْ يَتَطَوَّرُ إِلَى حَرَبٍ إِقْلِيمِيَّةٍ أَوْ عَالَمِيَّةٍ.

نَقُولُ ذَلِكَ لَأَنَّ الْقَمَّةَ الْثَّلَاثِيَّةَ الْرُّوسِيَّةَ الْتُّرْكِيَّةَ الْإِيْرَانِيَّةَ الَّتِي سَتُعْقَدُ فِي طَهْرَانِ يَوْمِ الْجَمْعَةِ الْمُقْبَلَ قَدْ تَحْوَلَ إِلَى قَمَّةَ حَرَبٍ إِذَا تَعَذَّرَ السَّلَامُ، وَهُنَاكَ مُؤْشِّرَاتٌ كَثِيرَةٌ تُرْجِحُ بَدْءَ الْهُجُومِ السُّورِيِّ الْكَاسِحِ يَوْمَ السَّبْتِ الْمُوَافِقِ الثَّامِنِ مِنْ أَيُّولُ (سِبْتَمْبَرِ).

\*\*\*

تُرْكِيَا تَرْخَشِيَّا مِنْ تَدَافُقِ مِلْيُونِيٍّ لاجِيءٍ مِنْ إِدْلِبِ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ مُسْلِمُونَ وَأَعْصَاءُ فِي النَّصْرَةِ، إِلَى حُدُودِهَا طَلَبًا لِلْذَّجَاهِ، مِثْلَمَا تَرْخَشَيَّ القَضَاءَ عَلَى الْفَصَائِلِ السُّورِيَّةِ (الْتُّرْكِسْتَانِيَّةِ) وَغَيْرِ السُّورِيَّةِ الْتَّابِعَةِ لَهَا، فِي أَيِّ قَصْفِ رُوسِيٍّ سُورِيٍّ لِلْمَدِينَةِ، وَلَكِنْ تَصْنِيفَهَا الْمُتَأْخِرُ (قَبْلَ أُسْبُوعٍ) لِهِيَةِ تَحرِيرِ الشَّامِ (النَّمَرَةِ) كَمُنْظَّمَةٍ إِرْهَابِيَّةٍ يُوحِيُّ بِأَنَّهَا مَعَ تَصْفِيَّتِهَا أَوْ لَاَ، وَاحْتِمَالُ تَوْصِلِهَا إِلَى تَفَاهُمَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ وَعَسْكَرِيَّةٍ، مَعَ الرُّوسِ وَالْإِيْرَانِيِّينِ فِي الْمَدِينَةِ (إِدْلِبِ) ثَانِيًّا، يُوحِيُّ بِأَنَّ تَأْيِيدهَا لِلْهُجُومِ عَلَى إِدْلِبِ شَبَدُهُ مَضْمُونٌ.

السُّلْطَاتُ السُّورِيَّةُ حَازَّتْ مَاهَةً فِي مَوْقِفِهَا مِنْ اسْتِعَادَةِ إِدْلِبِ آخِرَ الْمَنَاطِقِ الْهَامِّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ سِيَطْرَتِهَا مَهْمَا كَانَ الدَّمَنُ، وَيُجَادِلُ الْمُتَحَدِّثُونَ بِاسْمِهَا بِالسُّخْرِيَّةِ مِنْ حَدِيثِ تَرَامِبُ عَنْ مَأْسَاهِ إِنْسَانِيَّةِ، بِالْقَوْلِ أَنَّ تَرَامِبَ دَمَّرَ الْمُوَصَّلَ وَالرُّوقَةَ بِالْكَامِلِ فَوْقَ رُؤُسِ أَهْلِيهِمَا لِلْقَهْنَاءِ عَلَى "الْدُّولَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ" (دَاعِشِ)، وَلَمْ يَسْمُحُوا بِخُرُوجِ مُقَاتِلِيِّ وَاحِدَ حِيَّا، وَسَلْفَهُ جُورِجُ بوشُ قَتَلَ مِلْيُونِيِّينَ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَرَبِ، سَوَاءَ تَحْتَ الْحَصَارِ أَوْ بِالْقَصْفِ الْجَوِيِّ، أَيْ أَنَّهُ آخِرَ إِنْسَانٍ يَجْرِي لَهُ التَّحْذِيرُ مِنْ كَارِثَةِ إِنْسَانِيَّةٍ، مِثْلَمَا قَالَ مَسْؤُلُ سُورِيٌّ كَبِيرٌ لِمُرَاسِلَنَا فِي بَيْرُوتِ.

رَأَتَمَدَّتْ حَلَّا سِيَاسِيَّا يَحْوِلُ دونَ سَفَكِ دَمَاءِ الْأَبْرَيِّاءِ، وَيُعِيدُ إِدْلِبَ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ إِلَى حُمُنِ الدُّولَةِ السُّورِيَّةِ، وَلَكِنَّ الدَّمَنِيَّاتِ شَيْءٌ وَالْوَاقِعُ شَيْءٌ آخِرَ مُخْتَلِفٌ كُلَّيًّا، وَزَهَّدَ أَيْدِينَا عَلَى قُلُوبِنَا، وَزَتَوَقَّعَ الْأَسْوَأُ إِنْسَانِيًّا.

الْأَيَّامُ الْقَادِمَةُ سَتَكُونُ حَاسِمَةً جَدًّا فِي الْمَلْفِ السُّورِيِّ، وَرَبِّمَا مِثْلَمَا قُلُونَ سَابِقًا سَتُحَدِّدُ مَصِيرُ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ بِرُمَّتِهِ.. وَالْأَيَّامُ بِيُونَدَهَا.